مشكلة الحرية
بين الفرد والمجتمع في فلسفة جون ديوي

م. د. محمد سماري رحيمة الكعبي
قسم الفلسفة – كلية الآداب – الجامعة المستنصرية
Email : dr.mohamedsamari@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص:

تعرضنا في هذا البحث بالدراسة والتحليل لمفهوم الحرية عند واحد من أهم الفلاسفة المعاصرين ، وهو الفيلسوف (جون ديوي) الذي قدم الى العالم رؤية مختلفة عنها . إذ أكد على فكرة الحرية الواقعية بعيداً عن اليوتوبيا ، انسجاماً مع فلسفته البرجماتية الأداتية . فقد حاول المساهمة في تأهيل شخصية الفرد لتطوير المجتمع وبناء الدولة من خلال دعوته إلى تطبيق الحرية الملائمة للواقع المعاصر في جميع نواحي الحياة ، وذلك بإيجاده الحلول الناجعة لمشكلة العلاقة بين حرية الفرد وحرية المجتمع.

كلمات مفتاحية : الحرية – الفرد – المجتمع – الدولة

The Problem of Freedom
Between Individual and Society in the Philosophy of John Dewey

Inst .Dr.Mohamed Samari Raheema AL-Kaabi
The Univ.of Mustansiriah- College of Arts- Dept.of Philosophy
Email : dr.mohamedsamari@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

The following study deals with the concept of freedom in one of the most important contemporary philosophers i.e., John Dewey , who introduced a different view on it . He emphasized on the idea of real freedom away from utopia , in accordance with his pragmatist instrumental philosophy . He attempted to contribute in adapting individual character to develop the society and construct the state through his claim to apply freedom suitably with contemporary reality in every aspect of life .That was by introducing the effective solutions for the problem of relation between individual freedom and society freedom.

Keywords : Freedom – Individual – Sociery- State

التمهيد

يتعرض هذا البحث ، بمنهجه التحليلي لأكثر المفاهيم أهمية وجاذبية في الفكر الانساني ، وهو مفهوم (الحرية) Freedom والذي يُشير في أحدى دلالاته المختلفة الى الفلسفة السياسية ،حيث قمنا بالعمل على فرضية تقديم الحلول لمشكلة العلاقة والاثر المتبادل لكل من حرية الفرد وحرية المجتمع عند أحد أبرز الفلاسفة المعاصرين.

وعليه حاولنا توضيح (الثيمات) الأساسية لما تقدم بأطاره العام بهذا التمهيد ، الذي تناولنا فيه : الفلسفة السياسية المعاصرة ، معنى الحرية، الاطار العام لفلسفة الفيلسوف مدار البحث.

لننتقل بعد ذلك الى الموضوعات والمقاصد الاساسية ، مبتدئين بفكرة حرية الفرد والمجتمع في اطار الدولة ،ومن ثم انتقلنا الى بيان ما للحرية من تأثير على السلطة السياسية ، لننتهي بتسليط الضوء على دور الحرية في التربية والحياة الديمقراطية.وقد كانت لنا وقفه في الخاتمة مع أهم النتائج التي توصلنا إليها بمجموعة من النقاط.

الفلسفة السياسية المعاصرة

يؤكد غالبية المختصين بالسياسة أن (الفلسفة السياسية المعاصرة) Contemporary Political Philosophy ، لاتنفصل عن (النظرية السياسية) Political Theory : والتي تحمل في ثناياها تطور (الفكر السياسي) Political thought ،والذي يُعنى بالتحقيق في طبيعة المشكلات التي حاول معاجلتها كبار الفلاسفة من أجل تغيير الواقع السياسي نحو الافضل ، فما يبدو اليوم على أنهُ من المسلمات ، كحق الافراد في التعبير عن أرائهم ،وممارسة حقوقهم السياسية ،والمشاركة في الحياة العامة ، لم يكن ممكناً لولا جهود الفلاسفة في استيعاب مشكلات العصر الذي هم فيه ،وعليه أصبحت الفلسفة السياسية المعاصرة حلقة الوصل بين الفلسفة الكلاسيكية والواقع ، ولتتميز عن غيرها من الفلسفات بسمات عديدة أهمها ، عدم اهتمامها بالمنهج، حيث اتخذت اغلب ابحاثها مصطلحاً جديداً هو النظرية السياسية (مطر ،1978، ص8–12) (Matar,1978, P8-12) . والذي يُشير الى دراسة جميع الجوانب العامة والمجردة للسياسة وللتحليل السياسي والى النظريات السببية والتفسيرية في السياسة ،ولتشمل كذلك النظريات التجريبية في النظم والعمليات السياسية والسلوك السياسي(روبرت واليستار، 1999، ص341)(Robert & Alisttair,1999, P341) .

وعليه فإن المشتغلين بالفكر السياسي ، هم الساعون الى تحديد أي من الأفكار هي افكار سياسية واعدة ، وأي من الحلول السياسية تتوافق مع تحديات معينة ، وأي من النظم السياسية مناسبة أكثر من غيرها لمجتمع دون سواه لتلبية مطالب الشعوب وحاجاتها ، وعليه يُمكن استبدال مصطلح الفلسفة السياسية بمصطلح النظرية السياسية ، التي تؤشر الى الاجابة عن أي سؤال يلفت انتباه المنظرين السياسيين (ديلو، 2008،ص29) (Delue,2008, P29) .

معنى الحرية

ادلى الفلاسفة والمفكرون على اختلاف مشاربهم ، بآرائهم في الحرية منذ العصور الغابرة وحتى اليوم ، كل حسب رؤيته وحسب الزمان والمكان والظروف السائدة حينهُ ، فهو مفهوم متشعب يدخل في شتى مجالات الحياة.

ومن معاني الحرية (الكلاسيكية) Classicaism التي يجب الاشارة لها . أنها تعني مقدرة الانسان في التصرف بإرادة واختيار ، وهي نقيض العبودية ، اذ أن الحر هو الانسان الطليق ،وهو ذو الأصل الفاضل (مسعود ، 1992،ص229) (Masoud,1992, P299) . أي أنهُ يقابل العبد ،وتعني ايضاً الكريم والنقي قولاً وفعلاً ، وهو المرء ذو الاصل الشريف ،وعليه فإن الحرية هي التخلص من الشوائب أو من الرق أو اللؤم(صليبا ،1971،ص461) (Saliba,1971, P461) .

ومن دلالات الحرية المختلفة نوجز منها مايلي : من الناحية البيولوجية تعني فقدان الإرغام والقسر ، اما من الناحية النفسية فتعني القدرة على الاختيار بين عدة أشياء ، أو هي إختيار ما بين عدة فروض او احتمالات ، أما من جانب الطبيعة البشرية ، فلا يُمكن النظر الى الكائن البشري على أنه انسان دون الحرية ، فهي الوجود الانساني الذي لايتحدد ولا يتأكد دونها ، وقد أكدت المواثيق والاعراف الدولية على مبدأ ضرورة تمتع الانسان بالحرية مع عدم الاضرار بالإخرين ، فوثيقة الثورة الفرنسية الصادرة عام 1793م في المادة السادسة منها نصت على ان الحرية : هي القدرة التي يملكها الانسان ، القدرة على ان يفعل كل ما لايضر بحقوق الاخرين ، أما وثيقة حقوق الانسان الصادرة عام 1791م فنصت على أن :الحرية تقوم في استطاعة الانسان ان يفعل كل ما لايضر بالاخرين(الجاسور،2008،ص264–265) (AL-Jasoor,2008, P264-265).

فالحرية هي انعدام القسر والقيود والانسان الحر هو من لايعيقهُ مانع لتحقيق مطالبه وخياراته ، أو أي امر يحول بينه وبين ما يختار (أفروغ ،2014،ص88–99) (Afrough,2014, P88-99) .

وعلى الاغلب تصنف الحرية الى ثلاثة أشكال أولها : (الحرية الشخصية المدنية) Civil Personal Freedom التي تعني توفر الامن للفرد بما يخص حياتهُ وملكيتهُ والتعبير عن آرائه ، أما الثانية : هي (الحرية الاقتصادية) Economical Freedom والتي تعني ضرورة توفر الفرص للفرد بأن يختار عمله والمحافظة على مايكسبه من ربح ، ومتابعة ظروفه الاقتصادية ، أما الحرية الثالثة : فهي (الحرية العامة المدنية) Civil Public Freedom ، التي تكون بحسب أغلب المختصين على انها وثيقة الصلة بالحرية الاقتصادية ، وأن الحرية العامة المدنية جل ما تشير اليه هو (الحرية السياسية) Political Freedom ، التي تعني في الوقت الراهن السماح للفرد بحق التصويت في الانتخابات ، أي المساهمة في تشكيل الحكومة ومراقبتها ،كونهُ مواطن وعضو في الدولة ، فالحرية كمفهوم سياسي يُشير الى انعدام القهر أو التسلط على الافراد ، أي أنها التحرر من جميع الضغوط والتصرف بأريحية من وحي ارادتهم الخاصة (محمد ومحمد، 1976 ، ص366–368) (Mohammed & Mohammed,1976,P 366-368).

وبما أننا نخوض في فلسفة أحد اقطاب الفلسفة الغربية المعاصرة ، لابد أن نشير الى نقطة مهمة ، وهي أن مفهوم الحرية في الغرب قد أخذ أبعاداً مختلفة عبر تأريخ مجتمعاتها .فعند اليونان كانت تعني الحرية هو تمتع طبقة صغيرة من الافراد بالعيش الرغيد على حساب اكثرية مسحوقة ،ولتتغير النظرة للحرية في القرون الوسطى ، لتعني تحرر الفلاحين من عبودية الارض ، أي التحرر من بعض مظاهر النظام السياسي السائد آنذاك ،ومن ثم تحول الامر في الفترة الحديثة ،وفي انكلترا على التحديد ، عندما تحول المجتمع من الزراعة الى الصناعة والتجارة ، لتعني الحرية السماح للافراد بالتعبير عن آرائهم وممارسة معتقداتهم الدينية والسياسية بغض النظر عن مخالفتها آراء الفئة الحاكمة(جعفر،1954،ص50–51) (Jafar,1954, P50-51) . أما النظرة الى الحرية في الوقت المعاصر ، فأخذت أبعاد مختلفة سنحاول تسليط الضوء عليها في هذا البحث ، باختيارنا للفيلسوف جون ديوي (1859–1952).

الاطار العام لفلسفة جون ديوي

إن وظيفة الفلسفة عند ديوي هي معالجة مشكلات المجتمع بوسائل العلم الحديث ،وذلك لتحقيق المصلحة العامة بأطارها الواسع ،وبما أن مشكلات المجتمع المعاصر تختلف عما كان قديماً ، لذلك توجب انبثاق فلسفة معاصرة تواكب روح العصر الذي نحيا فيه ، ليكون هدفها رفع مستوى أبنائه من الناحيتين الفكرية والمادية ،والوسيلة التي ينبغي أن تستخدمها في ذلك هي (التربية) Education، التي هي بمثابة الجانب العملي التطبيقي للفلسفة عنده (جعفر ، 1954، ص34) (Jafar,1954, P34) .

ويؤكد ديوي على : " وجوب تدريس العلوم بطريقة عملية تأتي عن طريق الممارسة الحقيقية النافعة للحرف والمهن ، لا طريق تعليم الكتب ، اذ ينبغي ان تكون المدارس في مجتمع صناعي اشبه شي بالمصنع الصغير ،وتقوم بتعليم طلابها بطريقة عملية ، يتدرب فيها التلاميذ باقامة التجارب العلمية والاستفادة من اخطاء هذه التجارب ..." (ديورانت ، 1982، ص626) (Durant,1982, P626).

وعليه فإن الفلسفة عندهُ لها وظيفة نقدية وبنائية ، فهي نقدية بالنظر الى البناء من جديد ، وهي في جوهرها ذات طبيعة عملية ، لذلك نجدهُ قد تميز بالتنظير في الفلسفة الاخلاقية والاجتماعية وفلسفة التربية (كوبلستون ، 2009، ص519–520) (Copleston,2009, P519-520).

ومن أهم مهام الفلسفة لديه ، هي تنظيف بيتها أولاً بأن تتخلص من المذاهب الموروثة التي تحد من التطور الانساني ،ومنها الفصل بين العقل والمادة وذلك برفع المثالي أو الروحي الى قمة الوجود ،وازدراء كل ماهو مادي ودنيوي ، فما كان سائداً قديماً هو أن العبيد يعملون بالاعمال المادية، اما المواطنون الاحرار، فيعملون بالعلوم النظرية ، فيُنظر للاعمال اليدوية على أنها أقل شأناً من الاشتغال بالسياسة مثلاً ، فقد ورث الفكر الانساني الفصل بين السياسة والأخلاق ،وبين الاقتصاد والتجارة ، لذا فأن وظيفة الفلسفة كما يرى هي اعادة الجمع بينهما(الاهواني ، 1959،ص81) (AL-Ahwani,1959, P81).

اما وظيفة الفلسفة السياسية عند ديوي ، في ضوء التطور الانساني ،واستمرار تغير نمط الحياة وتوفر الامكانات العلمية وتبنيها للمستقبل لمواجهة متطلبات الحاضر هي نقد النظم الموجودة ، فالفلسفة

السياسية عنده هي وسيلة (اداة) لفعل عيني ، وأن مهمة الفيلسوف السياسي هي وضع معيار يُمكن الركون اليه بأختباره لجميع النظم سواء كانت، سياسية ، أم قانونية ، أم صناعية ، فهي مساهمات لنمو كل عضو من اعضاء المجتمع ،وليس لبناء (يوتوبيا) Utopia خيالية(كوبلسون، 2009، ص535) (Copleston,2009, P535).

وقد كانت هنالك العديد من المؤثرات الفكرية التي لعبت دوراً هاماً في بناء منظومة ديوي الفكرية ، ومنها الفلسفة (البرجماتية) Pragmatism أولاً ، و(التجريبية) Experimentelism الانجليزية ثانياً ، و(المثالية) Ldealism الالمانية ثالثاً ، الا أنهُ وبمرور الزمن قد تخلص من تلك المؤثرات ليخرج لنا الى النور بمذهب جديد وهو(البراجماتية الاداتية) Instrumental Pragmatism (الاهواني ، 1959، ص11) (AL-Hhwani, 1959, P11) .

والبرجماتية مفهوم مشتق من اللفظ اليوناني (براجما) Pragmaوتعني العمل ،وهذا ما يدل على انها فلسفة عملية تبحث عن ماهو نافع ومفيد ،وهي من النزعات الفلسفية التي هيمنت على الفكر الامريكي في القرن العشرين ، وبمرور الزمن نضجت واكتملت لتكون التمثيل العيني للفلسفة الامريكية ولتكون الاساس لتفسير الدستور والقوانين والقيم الامريكية (الجاسور ، 2008،ص151–152) (AL-Jasoor,2008, P151-152).

ويذهب أغلب الباحثين في هذا المجال. الى أن أهم ممثلي البرجماتية الامريكية هم (بيرس) و(جيمس) و(ديوي)، وهي حركة فكرية تعبر عن الثقافة الامريكية والتي من أبرز ملامحها صفتها التجريبية، فهي تقبل الخبرة الانسانية العادية منبعاً نهائياً وامتحاناً اخيراً لكل معرفة وقيمة(الاهواني ، 1959،ص84) (AL-Ahwani,1959, P84). ومن أوائل مؤسسي البراجماتية هو الفيلسوف الامريكي تشارلز ساندرز بيرس (1839–1914) ، عندما طرح لأول مرة أساس فلسفته في دراستين (تثبيت الاعتقاد –1877) و(كيف نجعل افكارنا واضحة –1878) ،وفي بحثه (البرجماتية –1905) وضع القاعدة الاساسية للمذهب البراجماتي وهي أن معنى القضية يتوقف على نتائجها العملية ،ومن ثم على يد وليم جيمس(1842–1910) تحددت معالم البرجماتية لتكون مذهباً فلسفياً متكاملاً ، ويرى أن ربط البرجماتية بالنتائج الواقعية هو تطور طبيعي للتجريبية التقليدية ،وقد الف عام 1907 كتابه (البرجماتية) بعنوان فرعي : (أسم جديد لمنهج قديم في التفكير).

برجماتية ديوي والحرية

ومع ديوي تطورت البرجماتية واتسع مداها ، فقد هجر الهيجلية ليتعلق بالبراجماتية ، التي تميزت عنده بأنها (اداتية) Instrumentalism أو (وظيفية) Functionalism ، فهو يرى بأن وظيفة المعرفة هي تنظيم السلوك ، وأن الفكرة هي اداة العمل ، أي أن براجماتية ديوي تؤكد على أن العقل يحقق هدفه حين يقود صاحبه الى العمل الناجح ، فجعل منها اساساً فلسفياً للتربية وللدفاع عن نظريته السياسية في الحرية و (الليبرالية) Liberalism الحديثة (الجاسور، 2008،ص152–153) (AL-Jasoor,2008, P152-153). فالنزعة الأداتيه او الذرائعية عنده هي محاولة لتكوين نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والاحكام

والاستدلالات في صورها المتنوعة من خلال النظر الى كيفية عمل التفكير في التحديدات التجريبية لنتائج مستقبلية(كوبلستون ، 2009، ص525) (Copleston,2009, P525).

إن الاداتية التجريبية التي قال بها ديوي ، تبرز أهمية الفرد وتضعه في المقام الاول ، إذ تحاول وضع قواعد منطقية عن طريق استخلاصها من وظيفة العقل ، اذ أن الفرد هو من يحمل الفكر المبدع وهو صانع للعمل ، والاداة في ذلك هو التفكير ، الذي من خلاله ينتقل من خبرة الى اخرى بشكل متصل ، أي أن عملية البحث يتدخل فيها التفكير والخبرة والسياق والاتصال، وعليه يمكن تسمية مذهب ديوي الفلسفي بالتجريبية نسبة الى الخبرة، والسياقية نسبة الى السياق ، ومذهب العمليات العقلية نسبة الى اتصال عمليات التفكير داخل الخبرة ، وكل ذلك ما هي إلا أدوات للبحث والسلوك في الحياة ، وعليه أطلق ديوي على مذهبه الفلسفي تسمية الاداتية (الاهواني ، 1959، ص93–105) (AL-Ahwani,1959, P93-105). التي استند عليها في تحديد آرائه بمختلف مباحث الفلسفة ،ومنها رأيه في الحرية بإطارها العام والخاص ،وانسجاماً مع البرجماتية التي آمن بها يرى أنهُ لابد للحرية من تحقيق فوائد للانسان على أرض الواقع ، أي أنهُ يجب على الحرية أن تعمل على تطور العلم والديمقراطية والشخصية الفردية في العالم الحديث ، كما تعمل على خلق مجتمع حر حقيقي متعلم (بولر ، 1978،ص279) (Boller,1978, P279).

وعلى هذا الاساس ، رفض ديوي قيام الحرية على افكار ميتافيزيقية لان ذلك كما رآى يؤدي الى اضعاف وتعطيل العمل مؤكداً ذلك بقوله : " أن التصميم على حرية ميتافيزيقية للإرادة ، نجدها في ذروتها عند اولئك الذين يحتقرون المعرفة المتعلقة بالأمور الواقعية ،وهم يدفعون ثمن احتقارهم تعطيلاً وحصراً للعمل ، فتعظيم الحرية بصفة عامة على حساب القدرات الايجابية – خاصة – قد ميز بها في كثير من الاحيان العقيدة الرسمية للحرية التأريخية " (ديوي،1963،ص319) (Dewey,1963, P319) .

ورفض ديوي للميتافيزيقا ، لأنه أعتقد أنها مشكلة الفلسفة دائماً ... يقول عندما كنت اقرأ أفلاطون بدأت الفلسفة تسير نحو مجتمع عادل ، لكنها سرعان ما ضلت الطريق في احلام العالم الآخر (ديورانت ، 1982،ص627) (Durant,1982, P627).

أي أن الحرية التي يؤمن بها ويأمل أن تتحقق ، لابد لها من أن تكون حرية مبنية على اساس واقعي ،وليس على أفكار خيالية ليس لها من صلة في الواقع الحقيقي المعاش ، وأن طريق الحرية لابد من أن يكون مُعبداً بالحقائق الواقعية التي من خلالها يمكن تحقيق الأهداف ونيل الرغبات.

إن حرية ديوي ، حرية واقعية أساسها المذهب البرجماتي الاداتي ،لذلك ربط بين الحرية ومختلف الانشطة الحياتية للفرد والمجتمع . لتعني عنده ، (النمو) growth والاستعداد لاجراء التعديلات اذا ما اقتضى الامر ، فهي عملية ايجابية تسمح للطاقات بالتحرر ، اذ أن استقرار المجتمع يتوقف على ما يمتلكه الفرد من حرية ، وذلك من خلال تحفيز إمكانات الافراد التي تشوبها بعض الأحيان حالات الفوضى والانحراف اذا ما اتسع مداها (ديوي ، 2010،ص176) (Dewey,2010, P176).

حرية الفرد والمجتمع في أطار الدولة:

أهمية الدولة بتثبيت دعائم الحرية

ذهب اغلب الفلاسفة الى دراسة (الدولة) The State : نشأتها ، أركانها خصائصها ،ووضعوا تعريفات مختلفة لها بإختلاف المدارس الفكرية والسياسية التي ينتمون لها ،ومن أهم التعريفات التي يمكن ذكرها أن الدولة هي : مجموعة من الأفراد ، يُقيمون بصفة دائمة في أقليم معين ،وتسيطر عليهم هيئة حاكمة ذات (سيادة) Sovereignty، وهي (السلطة) Authority (الجاسور، 2008، ص309) (AL-Jasoor,2008.P309).

في الواقع ان القرن التاسع عشر خصوصاً ظهرت فيه نزعات متعددة ، ترفض السلطة بكل اشكالها ومنها الفلسفة الفوضوية وغيرها التي تدعو الى الحرية ورفض كل السلطات ،ولاشك فأن ديوي قد تأثر بها ، فنجد كل كتاباته تدعوا الى الحرية والديمقراطية.

رفض ديوي الحديث عن الدولة بوصفها ماهية أزلية، وهذا ما يتناغم مع الأطار العام للفلسفة البرجماتية التي تبناها، حيث وضع تعميمات تقوم على التأمل في الدولة الفعّلية ، أي أنهُ اكد على الممارسة في الواقع المعاش بعيداً عن اليوتوبيا التي لا تصور الدولة بواقعية ، فقد فضل التصوير الجوهري للدولة المتسم بالمصداقية دوماً ، فهو يُقدس حالة موجودة بالفعل على أرض الواقع(كوبلستون ، 2009، ص522-532) (Copleston,2009,P522-532).

لذلك يُمكن القول أن ديوي وضمن الأطار العام لفلسفته يؤمن بالفكرة القائلة . أن الدولة سابقة على فكرة وجود الدولة أي أن وجودها من الناحية التاريخية ، أسبق من التفكير بوجودها ،وهي على الدوام متوافقة مع الفرد والمجتمع ، لذلك ومن هذا المنطلق لابد من التساؤل عن هدف الدولة في هذا الاطار؟(العروي، 2008،ص6-8) (Laroui,2008,P6-8).

ويرى ديوي في ذلك بأن وجود الدولة، أدى الى تحرير الفرد من القيود المفروضة عليه ، مثل: العرق، ونظام الطبقات ،وأن لها الدور الاساس في اعادة الذرات الاجتماعية وتشكيلها لتنتج جماعات ومنظمات جديدة ،مثل الأحزاب السياسية ،والهيئات الصناعية والمنتظمات العلمية والنقابات المهنية ،والكنائس ،والمدارس ، والاندية وسائر الجمعيات التي تقوم بالاهتمام بمصالح الناس المشتركة ،ويؤكد ايضاً على أنهُ كلما زاد عدد الجماعات ، اتجهت الدولة الى اقتصار وظيفتها على ايجاد التنظيم والتنسيق بين تلك الجماعات ورسم حدودها ،ومنع ما قد يقع بينها من خلافات والبت فيها، اي ان دورها يكون بإيجاد التوافق والانسجام بين مكونات المجتمع (ديوي ،ب.ت.(ج)،ص327) (Dewey, N.D.(C),327).

وتقوم الدولة بتحديد القواعد التي يعمل بمقتضاها اي شكل من اشكال الجماعات التي لا تواجه اي صعوبة اذا ما اسهمت بالنمو ،ولابد لها أن تكون جديرة بأن تُقيم النتائج الفعلية لعمل الجماعات ،وتسعى لتحقيق اهدافها وتحديد مقصدها الحقيقي لتقوم بالفعل المناسب(هوروتز ،2005،ص545-547) (Hurwitz,2005, P545-547). لذلك أكد على فكرة أن الدولة تقوم بالتقليل من شان كل صراع ، فلولا

القانون والاسرة والصداقة وروابط المصالح الخاصة والعامة، وعلى رأس كل ذلك الدولة ، فأن الحياة ستكون وحشية منعزلة(ديوي، ب.ت.(ج)، ص39) (Dewey, N.D.(C), P309).

وقد ينظر الناس الى الدولة على أنها صالحة ، اذا ما وفرت المتطلبات الحياتية ،وعلى أنها طالحة اذا ما تعاملت مع الهدف الأسمى الذي يتطلب تنفيذ قانون معين ، إلاّ أنهُ يجب التنبيه الى أن الدولة الفاضلة هي من تحاول تربية الفرد على الاستغناء عنها ، أما الدولة الفاسدة فمبنية على العنف واستعباد الناس ، وهي ليست سوى مؤامرة ضد الإنسانية (العروي ، 2008،ص12–15) (Laroui,2008, P12-15).

وذلك لان سوء اي دولة لايقتصر تأثيره على الدولة ذاتها ، بل يتسع نطاق تأثيره على اغلب الدول الاخرى ،وذلك نتيجة التلاقح الحضاري بين البشر والتأثير المتبادل في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والفنية والعلمية ،وهذا ما أكدهُ بقوله : "أن سعادة كل دولة حديثة وشقاءها أصبحا مرتبطين الآن بسعادة كل دولة اخرى وشقائها ، فما يحدث في أية دولة من ضعف ،وسوء نظام ،وقيام مبادئ زائفة لايُمكن أن يظل محصوراً في نطاق حدودها المعينة ولكنهُ سرعان ماينتشر ويعدي غيرها من الدول ، وهذه الحقيقة تصدق على ضروب التقدم في النواحي الاقتصادية والفنية والعلمية وزيادة على ذلك فأن الجماعات التي تقوم اختياراً وطواعية، لا تظل محصورة داخل الحدود السياسية"(ديوي، ب.ت.(ج)، ص328) (Dewey,N.D.(C), P328).

التوأمة بين الحرية الفردية وحرية المجتمع في إطار الدولة

لقد أصبح لحرية الفرد في الحياة المعاصرة دلالتان رئيسيتان؛ الاولى : تُشير الى الخلاص من القيود ،والثانية ، تؤكد على الحرية الايجابية ، التي تعني توفر الحرية في المعرفة والضمان والأمن والصحة وهي ما تمتاز به الليبرالية الحديثة(مطر، 1978، ص125–126) (Matar,1978,P125-126).

وعلى الرغم من ذلك فأن (الحرية الفردية) Individual Freedom تختلف بإختلاف الزمان والمكان لانها أمر مكتسب يتعلمهُ الانسان من البيئة المحيطة به ،ولابد للحرية أن يصاحبها شعور بالمسؤولية لكي لاتنقلب الى فوضى وتكون حينها غير ذات جدوى من الناحيتين الفردية والاجتماعية (جعفر،1954،ص66–67) (Jafar,1954, P66-67). ففي الجوانب الوجدانية ،لاتقتصر الحرية الفردية على مسألة السماح للشعب من قبل الدولة ، بممارسة حياتهم العامة من عبادة وسياسة وغيرها ، فهذا لايفي بالغرض بحسب ديوي ، فهو يؤكد على وجوب سن القوانين والتشريعات في سياق التفكير السليم ، والذي يرمي لخدمة المصلحة العامة ،واطلاق العنان للحريات الفردية ضمن هذا الاطار وليس خارجه (جعفر، 1954،ص58) (Jafar,1954, P58).

أما (المجتمع) the Society فهو لفظ واحد ، إلا أنهُ عند ديوي ذو دلالات مختلفة إذ يرى أنه لفظ يصدق على امور عدة . منها جميع الطرق التي يشترك بها الناس وذلك بإنضمام بعضهم لبعض والاشتراك بخبراتهم ، وتدل ايضاً على العصابات وجماعات اللصوص ،وتشير الى الأندية الاجتماعية والنقابات المهنية، والشركات المساهمة ،وكذلك القرى وغيرها فهذه التجمعات بمختلف أشكالها داخله في لفظ المجتمع (ديوي، ب. ت.(ج)، ص322) (Dewey, N.D.(C), P322). الذي يُمثل وحدة واحدة متكاملة في طبيعته ، فهو

يتألف من جماعات متعددة صالحة وطالحة ومنها ما يتمثل بالعصابات المجتمعة على الاثم ،وكتل سياسية يجمعها السلب والنهب ،واذا ما قيل ان هذه منظمات وليست مجتمعات ، كونها لا تستوف مطالب فكرة الاجتماع فهو يؤكد هنا على : أن جعل فكرة المجتمع شيئاً شديد المثالية أمر لانفع فيه لبعده عن الواقع ، حيث يرى أن كل منظمة مهما تعارضت مصالحها مع مصالح المنظمات الاخرى ، فأن لها من الخصال الحميدة التي يتصف بها (المجتمع) كوجود نوع من الشرف والولاء فيما بينهم مثل اللصوص وشعورهم بالاخاء بسبب المصالح المشتركة ، كما ان بعض الأسر تظهر الجفاء والريبة والحسد مع الغرباء اما فيما بينهم فتسود مشاعر المحبة والتعاون ، لذا فأنه يقرر امكانية استخلاص الصفات المستحبة من أشكال الحياة وأستعمالها أداة لنقد البغيض من مظاهرها ، لذلك يقترح تنميتها وتحسينها باستخدام وجود المصالح المشتركة بينهم.

ويرى ديوي أن استعدادات الانسان ، تكون من خلال عضويته في المجتمع الانساني الذي يختلف عن الدولة التي تقوم على النظم السياسية المتوافقة مع مطالبها ومصالحها ، لذلك لم تكن عقيدة الفردية الا الجانب المقابل والمتمم لاستعداد الانسان المطلق في محاولة بلوغ الكمال المرتبط بنظام اجتماعي واسع ، ليصبح فيه الفرد المتحرر أداةً وعاملاً لخلق مجتمع شامل يرغب في التقدم(ديوي، 1946،ص85-95) (Dewey,1946, P85-95).

ويؤكد على اهمية المجتمع بقوله : " المجتمع ليس الا علاقات تربط الأفراد بعضهم ببعض بهذا الشكل أو ذاك ، كما ان جميع العلاقات هي تفاعلات مترابطة متحركة لا قوالب ثابته ،وتتضمن التفاعلات الضمنية المترابطة التي تؤلف مجتمعاً بشرياً ، تبادل الأخذ والعطاء في المشاركة وفي الاسهام الذي يضاعف من قدرة العوامل المتفاعلة ،ويعمقها ويوسع من أهميتها" (ديوي،1979،ص81) (Dewey,1979, P81).

اذ ان طبيعة العلاقات وشكلها بين الأفراد هي من تحدد قدرة المجتمع ، فيجب العناية بالفرد الذي يشكل مع غيره المجتمع ، ولابد لجميع الافراد من التعبير عن إمكانياتهم المادية والفكرية ، فلا يمكن للحرية ان تتحقق دون المجتمع ،وهو تلازم لابد منهُ ، لتحقيق الحرية على وجهها الأمثل.

ويُمكن القول ان التنظيم الاجتماعي لايتحقق الإ بوجود الحرية الفردية ، والتي لاتزدهر دون وجود حارس ومنظم وهو (الدولة) ، على ان المجتمع الانساني يتسم بالنقص في نشر العدالة الاجتماعية بين الناس اذا ما تمتع البعض بحرية اكبر من غيره ، وأن الميل الطبيعي للإنسان في المطالبة بالحرية باق مابقي المجتمع الإنساني ، اما الافتراض بأن الحرية شيء مكتسب من المجتمع لجاز القول حينها ، أن تحققها لايتم الا عن طريق التنظيم الاجتماعي والتشريع السياسي(جعفر،1954،ص63-67) (Jafar, 1954, P63-67).

ويرى ديوي : أن التنظيم الاجتماعي المتمثل بالمجتمع والدولة يكون ثانوياً اذا ما كان ساكناً ، أي اذا لم يعمل على تسهيل التواصل او اتصال الناس واجتماعهم ببعضهم مع بعض ،ليكون هذا الاتصال ثرياً وحافلاً (ديوي، ب.ت.(ج)، ص332) (Dewey, N.D.(C), P332).

لذا فأنه لا يمكن تحقيق الحرية بعيداً عن المجتمع ، لأن الحرية لاتتحقق بالافراد المنعزلين عن المجتمع ،وانما تتحقق بإندماج جميع الأفراد بعضهم مع بعض ،وكلما كان المجتمع متطوراً ، كان تأثير الفرد

من خلال عمله وفكره ذا أثر كبير على بقية الافراد وعلى المجتمع ، فحرية الفرد في العمل والرأي مرتبط بحرية الاخرين (جعفر، 1954، ص69) (Jafar,1954, P69).

وخلاصة القول فإن ديوي حل هذه المشكلة بهذا الجانب برؤيته في أن الحرية الفردية والتنظيم الاجتماعي أمران متلازمان ،ومن غير الممكن أن يتحقق أحدهما دون الآخر ، اذ أن انعدام الحرية الفردية يؤدي الى انعدام وجود أي تنظيم اجتماعي ،وحينها يصبح المجتمع خاضعاً لمشيئة الفئة الحاكمة ،وبالمقابل فإنَّ انعدام التنظيم الاجتماعي يؤدي الى انعدام الحرية الفردية ، لذلك فأن العلاقة بينهما علاقة طردية ،وكل ذلك يجب ان يكون تحت رعاية الدولة فهي الضابط والمنسق والمنظم لايقاع الحياة الفردية والاجتماعية .

– الحرية والسلطة السياسية:

التوافق والتعارض بين الحرية والسلطة

أن (السلطة السياسية) Political Authority هي أحدى أركان الدولة ، ولذا يتوجب علينا توضيح مدى ارتباطها مع الحرية الفردية ,وحرية المجتمع أو بالأحرى ابراز العلاقة بين السلطة السياسية والحرية ومدى التلازم بينهما ،و كيف حاول ديوي القيام بتوظيف الحرية ، من خلال السلطة السياسية لتثبيت دعائم الدولة.

مما لاشك فيه. أن الصراع بين الحرية وبين الضغط عليها قديم قدم التاريخ الانساني ، لذلك فأن الدعوة الى الحرية عند ديوي يجب أن لا تفسر بأنها خروج عن مبدأ السلطة ، بل هي محاولة للتغيير في انموذج السلطة نحو الافضل(جعفر،1954،ص64) (Jafar,1954, P64).

لأن الحرية السياسية ، هي العلاقة القائمة بين الفرد والمجتمع ، من خلال منع الاكراه الذي يفرضه المجتمع على الفرد ، لتكون حرية الفرد في ان يفعل كل ما لايمنعه القانون ،وتقييد السلطة السياسية بالحقوق المعترف بها للفرد(لالاند ، 2001،ص728) (Lalande,2001, P728).

وقد أتسمت أغلب فترات التاريخ الغربي بوجود صراع حول الحرية وذلك نتيجة دفاع الفرد عن حريتهِ ضد إستبداد السلطات الحكومية والدينية ، مما أدى لظهور فلسفات سياسية واجتماعية أتخذت اتجاهين متعارضين ، أحدهما يدافع عن الحرية ، والاخر يدافع عن السلطة بإعتبارها قيداً ايجابياً (الاهواني، 1959،ص61) (AL-Ahwani,1959, P61).

وعليه فإن تأريخ الفكر السياسي الغربي ينقسم الى فريقين ، الأول: يرى أن الحرية لاتتحقق الا اذا تمتع الفرد بجميع حقوقه من خلال تقليص سطوة السلطة ،ويرون أن الحرية مبدأ سام يتوجب على كل إنسان بذل كل جهده لتحقيقه ، من خلال محاولة رفع القيود بمقاومة تدخل السلطة في تنظيم بعض العلاقات الخاصة بين الأفراد ومنها العلاقات الاقتصادية ، اذ أن تدخل السلطة في هذا المجال يُعد موقف سلبي من قبلها تجاه غالبية الشعب كونها تحافظ على سطوة الاغنياء وتمنحهم المشروعية ؛ ويذهب أنصار هذا الفريق الى القول بأن نشأة سلطة الدولة كان نتيجة تعاقد الافراد فيما بينهم أي أنها احدى (التنظيمات الاجتماعية) Social Organizations، لذلك فهم أسبق في الوجود والأهمية منها ، فهي لم تنوجد إلاّ لخدمة مصالحهم والمحافظة

على حقوقهم ، وبالاخص حق التملك ، مقابل تنفيذ الالتزامات المنوطة بهم ، أما الفريق الثاني: فيرى أن الحرية لاتتحقق الاّ بخضوع الفرد لسلطة الدولة ، كونه مديناً لها بحياته المادية والاجتماعية ، ولأنها أحرص على مصالح الشعب من الافراد ،الذين يسعون لتأمين مصالحهم الشخصية على حساب الاخرين.

فأنصار هذا الفريق يؤكدون على وجوب خضوع الفرد لسلطة الدولة فهم يرون أن طاعة هذه السلطة واجبة وأن الالتزام بقوانينها وأنظمتها أمر مقدس ،ويقللون من أهمية الحرية الفردية ،لذلك يشبهون الدولة بجسم الانسان من حيث التركيب الجسمي والنشاط الوظيفي ، فالأفراد مثلهم للدولة كمثل الأعضاء المختلفة لجسم الإنسان ، فلكل فرد وظيفة معينة فيها ، كما هو حال أعضاء الجسم التي تتعاون فيما بينها لخدمة الجسم كلهُ ،وهنالك مقاربة أخرى بين الإنسان والدولة عندهم، وهي وجود أعضاء في جسم الإنسان أهم وأرقى من سواها ، كذلك الحال في الدولة ، يوجد فيها اعضاء أهم واسمى من الآخرين ، ليتتابع الأمر حتى يصل الى الزعيم أو الدماغ المفكر في جسم الدولة (جعفر، 1954،ص50–57)(Jafar,1954, P50-57).

وعلى العموم فأن البرجماتية لاتؤمن بالتسلط بالمعنى الدكتاتوري ، فهي ذات نزعة ديمقراطية سواء في عملية الحكم أو في التربية المدرسية وغيرها.

ووفق ما تقدم من القول بوجود فريقين الأول يدافع عن حرية الفرد ،والثاني يدافع عن سلطة الدولة، إذن لابد من التساؤل عن علاقة السلطة بالحرية هل هي علاقة قسر واكراه ، أم هي علاقة تنظيم وتدبير ، وبما ان السلطة يجب ان تمثل ثبات النظم الاجتماعية ، لذلك فأن الحرية تمثل القوى التي تحاول التغيير (الاهواني ، 1959،ص60) (AL-Ahwani,1959, P60).

التناغم بين الحرية والسلطة عند ديوي

لايتبنى ديوي أياً من الاتجاهين آنفي الذكر ، فهي عنده آراء متطرفة ،حيث يرى أن الفريق الأول يقدم صالح الفرد على الجماعة ، أما الفريق الثاني ، فيقدم مصلحة الجماعة على الفرد ، وهما أمران سلبيان حسب رأيه انطلاقاً من فكرته في كون الفرد دون علاقات اجتماعية ليس لهُ من كيان ،وأن العلاقات الاجتماعية دون أفراد لا يُمكن لها أن تقوم ؛ لذلك تجاوز النزعة الفردية التقليدية في الفلسفة التي كانت تتبنى في السياسة والاقتصاد شعار الحرية الفردية المطلقة ،وتشجع المشروعات الخاصة ،وهو (دعهُ يعمل دعه يمر) ، وأكد على وجوب تشجيع التدخل الايجابي للسلطة بتوجيه الفرد الذي اذا ما تُرك لشأنه فسوف ينتهي به الأمر الى الوقوع في الخطأ ، فلابد للحرية من أن تفترض وجود التوجيه والتنظيم (مطر، 1978، ص125) (Matar,1978, P125)

وعلى الرغم من اعتراض ديوي على الاتجاهين السابقين ، الا انهُ لايرفضهما بالمطلق أنما يحدد الأخطاء التي وقعا فيها ، ومنها أن أنصار الحرية يجدون أن تدخل السلطة في شؤون الأفراد هو تجاوز على حرياتهم ، ليعترض انصار التنظيم الاجتماعي الذين عدّوا الامعان في الحرية تجاوزاً على النظام وعلى مبدأ الحرية ذاتهُ كون الناس تعُد الحرية الفردية اساساً للحرية السياسية(جعفر،1954،ص60) (Jafar,1954,P60).

وبما أن الحرية قوة يُمكن من خلالها تغيير السلطات والانظمة الحاكمة وخصوصاً تغيير الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، فالصراع على الحرية جاء ثمرة مطالبة الفرد بحريتهِ من استبداد وسلطة الدولة والكنيسة وقد تم لهُ ذلك ، وهو ما جعل ديوي يربط الحرية بشكل عام بالحرية السياسية ،وليكون حل هذه المشكلة عنده لابفصل دائرة السلطة عن دائرة الحرية ، بل في كيفية توحيدهما والخروج بوحدة جديدة تمزج بينهما (الاهواني،1959،ص59–60) (AL-Ahwani,1959,P59-60).

إن الشعب حين يرى السلطة تتدخل لعرقلة مسار الحرية ، سيكون هنالك عزوف عن التنظيم الاجتماعي ، لتنعكس الآية عندما تأخذ الحرية الفردية صورة التنظيم والبحث عن المصلحة العامة ، لتبرز الدعوة من قبل بعض المفكرين لوضع القيود الملائمة للحد من حرية الافراد ، من أجل سيادة القانون والنظام ظناً منهم بأن كل حرية فردية مدعاة الى التسيب وخرق النظام والقانون.

إلا أن الامر لا يخلو من وجود نوع من تناقض في هذا السياق إذ أن . الدعوة الى التنظيم الاجتماعي تسلب الفرد حريتهُ ،وهو أمر لا يتوافق مع وجوب تمتع الإنسان بالكرامة ، أما من الناحية التاريخية فهو أمر استخدمتهُ السلطات ضد خصومها ، وفي الوقت نفسه فأن هذا الرأي لا يخلو من مغالطة إذا ما نُظر إليه من الناحية العملية الواقعية ،لا من الناحية المثالية ، كونه ليس بدعوة الى الحرية بل أنهُ سعي لطمسها ،ولا ينبغي أن يُفسر هذا الامر على أن ديوي ضد التنظيم الاجتماعي في فلسفته السياسية ، بل أنهُ من الامور المهمة بقدر أهمية الحرية الفردية فكلاهما عنده يُكمل أحدهما الآخر ، إنما وجه اعتراضه هو على مقدار الضغط الذي يسببه التنظيم الاجتماعي على الحرية الفردية من جانب ،وعلى صلة التنظيم الاجتماعي بالشعب من جانب آخر ، فالتنظيم الاجتماعي يُفرض من قبل السلطة على الشعب دون الاكتراث برأيه وهذا كاف لشجبه ، أما اذا كانت طبيعة التنظيم الاجتماعي منبثقة من الشعب من خلال ممثليه المنتخبين انتخاباً حراً وأن كان دون نضج ، فذلك سوف يرفع مستوى الشعب وينمو بأطراد ، ويرتقي بمرور الزمن ، لذا فإنه يُعارض التنظيم الاجتماعي المفروض من السلطة ،ويفضل التنظيم النابع من الافراد(جعفر ، 1954، ص55–57) (Jafar,1954, P55-57).

وهو ما أكد عليه بقوله :" فمن العبث أن نتصور أن يكون للحرية أية أهمية ايجابية للفرد ، على حين لايكون لها سوى معنى سلبي في الشؤون والمصالح الاجتماعية ،فالمجتمع لايكون قوياً وطيداً ثابتاً مستقراً تجاه كل حادث عارض الا اذا تيسر لكل اعضائه أن يؤدوا اعمالهم ويقوموا بوظائفهم بأقصى ما في وسعهم وبنهاية قدرتهم" (ديوي ، ب.ت.(ج)، ص333) (Dewey,N.D.(C), P333).

لذلك نرى أن مكمن الحل عند ديوي لهذه المشكلة ، هو قيام تناغم كل من حرية الفرد وحرية المجتمع مع السلطة السياسية ،وبما أنه عد الحرية الفردية من المسلمات التي يجب عدم المساس بها ، فهو في ذات الوقت دعا الى حرية المجتمع في تأسيس التنظيمات المجتمعية ،والتي يجب ان تكون نابعة من الافراد ، وغير مفروضة عليهم من قبل السلطة كي لا تعمل على الحد من الحريات ،وبذلك يكون التناغم بين الحرية والسلطة في هذا الاطار .

- دور الحرية في التربية والحياة الديمقراطية:

دور الحرية في التربية عند ديوي

لابد من التأكيد على حقيقة ما للمجتمع من أثر بالغ الاهمية ، في تحديد هوية الفرد ، بإضفاء كثير من الصفات المكتسبة ،وبلورة شخصيته ، بمنحه حرية الاختيار من عدمه ،مما يؤثر ذلك في تحديد سلوكياته والسير بها في اتجاه معين ، قد لا يرغب به ، فمن المحال فصل الانسان عن مجتمعه والآثار المترتبة عليه بالاتجاهين السلبي والايجابي.

وهذا مايراه ديوي في أن الطفل حينما يولد ، يكون في قمة الضعف من جميع النواحي ، لذا يتطلب استمراره بالحياة ، عناية مستمرة يقدمها لهُ الراشدون ، لذلك لا يُمكن انكار أثر المجتمع على الفرد في بناء ورسم شخصيته، من فرض اللغة والمعتقدات بجميع الوانها (جعفر، 1954،ص59) (Jafar,1954, P59).

اذ إنَّ الانسان كبقية الكائنات الحية يتمتع بالاستمرار والتجدد والنمو المطرد من خلال تفاعله مع البيئة الخارجية ، الا أنهُ يتميز عن بقية الكائنات ، بالاستمرار الاجتماعي ، أي امكانية تجديد معتقداته ومثله العليا وآماله وآلامة وسعادته وشقائه ، فمعنى الحياة هي الدوام والتجدد المستمر ، التي يطلق عليها ديوي (الخبرة) Experience ، والتي يقصد بها (تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية ، ليكتسب من هذا التفاعل العادات واساليب التفكير والمثل العليا وغيرها) ، ناقلاً كل ذلك الى حياة مقبلة ليستمر المجتمع بالتجدد ، بيد أن اكتساب الخبرة في الحياة الاجتماعية عن قصد او غير قصد ماهي الا التربية ، التي هي بمثابة التغذي والتناسل للحياة الفسلجية ، لذلك فإن المدرسة ماهي الا صورة مصغرة للمجتمع بما فيه من فضائل ورذائل لذا يجب أن تكون إنموذجاً مثالياً لما ينبغي عليه أن يكون المجتمع الفاضل (الاهواني ، 1959،ص44-46) (AL-Ahwani,1959, P44-46).

فلا بد للمدرسة ان توفر مقومات حصول الاطفال على الخبرة بشكل مباشر ، كما هو الحال في اكتسابهم للخبرة من البيت والبيئة التي يحيون فيها .

وعليه رغب ديوي في الحد من الآثار السلبية للمجتمع على الفرد ، من خلال تغيير نمط التربية والتعليم الذي يتلقاه الطفل في المدرسة ،وذلك بزيادة جرعات الحرية التي سوف يكون لها الاثر الايجابي في تنشئة جيل خالٍ من امراض القسر والاكراه ، جيل يحمل طاقات ابداعية يُعبر عنها دون خوف من أي سلطة تقتل مواهبهُ ،وهذا ما عبر عنه بقوله : " إن الأطفال في المدارس يُسمح لهم بالحرية حتى يعلموا معناها ومدى الفائدة التي يحصلون عليها ،وأن يُسمح لهم بتنمية الصفات الايجابية صفات الخلق والابداع " (ديوي ، 1962،ص334) (Dewey,1962, P334). من خلال الاهتمام بالتعليم الحر .

الذي كان يقصد به، في القرن التاسع عشر ، تعليم الرجل الحر ، اي أن يقتصر الامر على الطبقة الارستقراطية ، الا أنه بعد ذلك آمنت الامم ، بأن جميع افرادها احراراً (ذكوراً واناثاً) لتقترن الحرية بالمساواة ، فوضعت النظم والقوانين التي تسمح بنمو المواهب الطبيعية لجميع الافراد وتكون فرصهم متكافئة،

اذ أن ما كان يُعاني منهُ الاطفال من قسوة السلطة الابوية في البيت ومن تسلط المعلم في المدرسة ، حفز ديوي للحديث عن الحرية من وجهة نظر تربوية (الاهواني ،1959 ،ص61–63) (AL-Ahwani,1959, P61-63) ، ومحاولة وضع الحلول لهذه المشكلة، إذ يُعرف ديوي التربية على أنها : " ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة ، الذي يُزيد في معناها وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية " (ديوي،1946،ص79) (Dewey,1946, P79).

إن النظرة المعاصرة للتربية التي جاء بها ديوي ، تختلف عن التربية التقليدية ، التي كانت عملية تمهيدية ، لتعلم وتنمية بعض القدرات للحصول على هدف معين ، الا أن ديوي لم يقف عند حد اعتبار التربية مجرد عملية أعداد للفرد بل عدها عملية تطور ونمو مستمر ، فهي عنده عملية تعميق واتساع الخبرة البشرية التي لاتقف عند حد او عند هدف معين ، فهي عملية مستمرة للفرد والمجتمع لنمو الخبرة ،وليجعل ديوي من كلمة النمو معياراً للاخلاق ، لأن التربية لاتقتصر على القدرات الفيزيقية ، بل تمتد الى القدرات العقلية والاخلاقية ، لذلك يرى أن مهمة الحكومة والفن والدين والاخلاق ، هي تهيئة الظروف المؤاتية لنمو قدرات الفرد ، الذي لابد أن يكون نمواً اخلاقياً والذي يسمح بتطور أكبر (مطر، 1978،ص126–128) (Matar,1978, P126-128).

إن توظيف التربية بصورة صحيحة ، يؤدي دون شك الى احداث اصلاحات اجتماعية وسياسية تتوافق مع القدرة على النمو ،وتدفع نحو تطور ابعد ،وذلك لارتباط الاخلاق والسياسة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً (كوبلستون، 2009،ص536–537) (Copleston, 2009, P536-537).

لذا فإن اغلب المدارس المعاصرة ،ومدرسة ديوي على وجه التحديد في التربية ، قد تميزت بقيامها على مبدأ الحرية ، والتي لاينظر لها من جانب ميتافيزيقي ، حيث يضع لها ديوي الحلول بالاستناد الى الأساس التأريخي كما هو الحال في سائر حلوله لجميع المشكلات الفلسفية والنفسية ، ليصل الى جذورها الاولى ،ومن ثم ينظر لها من واقع الحياة الاجتماعية ، أي من واقع الخبرة (الاهواني، 1959،ص59–60) (Al-Ahwani,1959, P59-60).

إنهُ لابد من العناية بخبرات الاطفال ، ولا سيما أن هنالك ميل الى التهوين من شأنها ، فأن الخبرات لاتتألف من مواد تُقدّم الى الفرد من الخارج ، أنما هي تفاعل مجموعة فعاليات فطرية مع المحيط ، مما يساهم في تبدل متدرج للارتقاء بها (ديوي ، 1946، ص82) (Dewey, 1946, P82).

وحين يرفض ان تكون التربية علماً بتراث الماضي ، أو أن تكون اعداداً للمستقبل ، فهو في ذات الوقت يرفض اخضاعها لأي شيء خارجي سوى الخبرة ، التي يكتسبها المرء بنفسه لتتراكم معهُ (خبرات مستقبلية) Future Experiences ، ولا يعني ذلك التخلي عن الماضي ومكانة التراث القديم في الحضارة الانسانية بدعوى عدم الافادة منها في الحاضر ، فاذا ما كان الاسراف في العناية بالحضارة القديمة من عيوب المدارس القديمة ، فأن عدم المبالاة بها وقلة التعلُم منها في المدارس المعاصرة هي إحدى عيوبها الكبرى ،

وذلك في المغالات بمبدأ الحرية اعتماداً على الرغبة والميول الطبيعية في اكتساب الخبرة ويُعد ذلك اضعاف لمستوى التعليم(الاهواني ، 1959، ص68–69) (AL-Ahwani,1959, P68-69).

ويولي ديوي أهمية كبرى لحرية الذكاء المرتبطة بالملاحظة ، رافضاً بناء الحرية التربوية على أساس حرية الحركة ،ورغم ذلك فهو يؤكد على ضرورة عدم الفصل بين الداخلي عن الخارجي ، أي بين حرية الفكر والرغبة ، او بين الغرض وبين النشاط البدني الجسماني ،ويتجسد هذا الامر في القيود الخارجية التي تُنظم مكان الدراسة ، التي لاتسمح للاطفال بالحركة إلا ضمن إطار معين ومحدد ، بأستخدام اشارات معينة متفق عليها ، لذا يعد ذلك احد القيود التي تحد من الحرية الفكرية والخلقية(ديوي، ب. ت.(ب)، ص73) (Dewey,N.D.(B), P73). للفرد منذ الصغر لذلك قامت المدارس المعاصرة بمحاولة تحرير الطفل ، من خلال اشاعة النشاط البدني ، والاكثار من الورش العملية ،وتوفير المناخ الملائم الذي يعتمد على الملاحظة ورسم الاهداف ، لتكون الحرية قوة حقيقية تؤثر في تحديد الاهداف ، وتقدير قيمة الرغبات والأخذ بنظر الاعتبار نفسية الطفل من ميول وحاجات ، كون الطفل يتعلم من خلال الخبرة ليحصل على النمو السليم ، على اساس أن التربية والنمو شيء واحد ، الا أن ذلك يصطدم بالسياسة ، فالطفل يتعلم في المدرسة وهي جزء من الدولة ، التي تخضع لتوجيه وسياسة معينة وفلسفة خاصة ، لذلك فأن الطفل يقع تحت تأثير توجيهات تلك الدولة ، أي أن التربية تختلف بأختلاف انظمة وسياسة كل دولة ، التي لابد لها أن تتغير بما يتلائم مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتنشئة جيل المستقبل باستخدام فلسفة تربية جديدة (الاهواني ،1959،ص64–70) (AL-Ahwani,1959, P64-70) . يمكن أن تحقق فوائد جمة اذا ما فسح المجال بتطبيق الحرية فيها ، اذ أن هناك علاقة طردية بين الحرية والمعرفة ، فكلما زادت فسحة الحرية زادت معرفة المعلم بالطلاب وتكشفت له جميع افكارهم ورغباتهم وتوجهاتهم ،والذي سوف ينعكس على مجمل العملية التربوية وتطوير امكانات التلاميذ، وقدراتهم الفردية ،ومن جانب أخر فإن حرية الحركة تعمل نحو المحافظة على الصحة البدنية والعقلية ، كون الطاعة والهدوء المفروضين بالقسر يكونان من العوائق التي تمنع التعبير عن سجاياهم الحقيقية (ديوي،ب.ت.(ب)، ص74–76) (Dewey,N.D.(B), P74-76).

فمن مظاهر التربية التقليدية في المدارس القديمة ، هي فرض الهدوء والسكون والادب الشكلي على الطلاب ، أي أن المدرسة تفرض سلطتها بالقسر عليهم ،وتمنعهم من إظهار خصالهم ومواهبهم الفطرية ، فالمعلم كان ممثلاً لسلطة عليا ، معتبراً النشاط البدني للتلميذ من مظاهر سوء الادب والاخلال بالنظام ونوع من أنواع الشغب ، أما المدارس المعاصرة ، فلا بد من أن يكون المعلم فيها هادياً ومرشداً ،وأن يكون ايجابياً يشارك في العمل لا ملقناً للدروس فقط (الاهواني،1959،ص63) (ALAhwani,,1959, P63). أي أن تمتع الطلاب بالحرية يجعل من قواهم ومواهبهم تظهر للعلن ، وأن نشاطهم الفكري والبدني والفني يصبح في متناول المعلم الذي سوف يقيمه ويحدد المسار الصحيح لكل واحد منهم.

فلا جدوى من الدعوة الى حرية الفكر ما لم يصاحبها دعوة الى الحرية في الحياة العملية التي تمثل دعوة الى تحقيق السلوك الحر برفع القيود السياسية والاجتماعية عن الفرد ليصل الى النضج الفكري لكي لا يكون عاملاً من عوامل هدم الحرية الفردية بدلاً من تحقيقها (جعفر، 1954، ص72) (Jafar,1954, P72).

وكما يقول ابرز البرجماتيين وليم جيمس : " أن البراجماتية تعني الهواء الطلق وامكانيات الطبيعة المتاحة ، ضد الوثوقية التعسفية واليقينية الجازمة ، والاصطناعية وأدعاء النهائية في الحقيقة بأغلاق باب البحث والاجتهاد استناداً الى مبدأ العلة الغائية " (جيمس ، 1965، ص71) (James,1965, P71).

دور الحرية في الحياة الديمقراطية

ذهب ديوي للربط بين التربية وبين الديمقراطية في اطار الحرية إذ قال : " أن التربية الكاملة لا تتم الا اذا كان لكل فرد حصة بحسب قدرته ومواهبه يكون مسؤولاً عنها من حيث تشكيل سياسة اغراض الجمعيات التي ينتمي اليها ،وهذه الحقيقة تؤكد لنا أهمية الديمقراطية "(ديوي، ب.ت.(ج) ،ص335) (Dewey,N.D.(C), P335). التي تعني أن الحكومة تستمد سلطتها من الشعب الذي هو مصدر السلطات ، وهو من يختار حكومته ، التي يجب أن تكون تحت سيطرته الفعلية(ناصر، 1998، ص27)(Nassir, 1998, P27).

وتعني الديمقراطية عند ديوي ، الحياة الحديثة وتحرير الذكاء تلقاء الفعالية الاستقلالية ،وتحرير العقل كجهاز مفرد ، لكي يؤدي وظيفتهُ ، لذلك أكد على أن من الطبيعي ربط الديمقراطية بحرية الآراء ، فهي دون شك تحمل في كنفها احتراماً للفرد ، وفرصة اعظم للحرية والاستقلال، وتوجيه دفة التفكير بالاتجاه الصحيح (وين ، 1964،ص104–105) (Winn,1964, P104-105).

ورآى ديوي ، أن التقليد الديمقراطي يكون متصلاً اوثق اتصال بمعتقدات الطبيعية الانسانية ، وهو اتصال وثيق يؤدي انفصامهُ الى حدوث صدمة قوية ، أي أنهُ لابد للمؤسسات الاجتماعية أن تخدم الغايات الاخلاقية (ديوي، ب.ت.(أ) ،ص4–5) (Dewey,N.D.(A), P4-5). ومن أبرزها التربية التي لها بالغ الاثر من الناحيتين النظرية والعملية في حياة الانسان(ديوي، 1946، ص25) (Dewey,1946, P25).

وعليه فانهُ قد ربط بين المجتمع الديمقراطي والتربية وبناء الدولة ، اذ أن تكريس مبدأ الديمقراطية وتقديسها للتربية حقيقة لا لبس فيها ، كون الحكومة المستندة لحق الانتخاب العام لا يُمكن أن تكون ناجحة مالم يكن أولئك الذين ينتخبون حكامهم ويطيعونهم متعلمين ، فالديمقراطية عنده تتضمن ماهو أكثر من أنها شكل للحكم ، فهي عنده نظام وأسلوب حياة مشتركة وهي ليست حصيلة التدبير الواعي بها ، أنها نتيجة لأنماء وتطور أساليب الصناعة والتجارة والسفر وتبادل الاتصال ،وتحكم العلم بالطاقة الطبيعية (وين ، 1964، ص105–106) (Winn,1964, P105-106). أي لابد من وجود مواطنة مثقفة مستنيرة ، تتمتع بروح وطنية نشطة ، فهو قد دعا الى تطوير المواطنة من خلال ايجاد اشخاص ديمقراطيين ،وذلك بتطوير نظام مدرسي مخطط لهذا الغرض (فلابد من تشكيل مواطنوا المستقبل من خلال المدارس) ، وما تحتاج اليه الديمقراطية هو وجود اشخاص تكون طباعهم ديمقراطية وهو ما يقوم به التعليم ؛ لكي تتسق محاولاته في

ميدان التربية والتعليم مع الرأي القائل ان كل نظرية تقدمية يجب أن تكون في خدمة الديمقراطية ،وأن جميع جوانب الحياة لابد ان تكون ديمقراطية الممارسة ، وليكون علاج امراض الديمقراطية في المزيد من الديمقراطية (هورتز ، 2005 ، ص552–554) (Hurwitz, 2005, P552-554) .

والأساس في كل ذلك هو أن يصبح التعليم بمتناول الجميع ، وعليه فأننا اذا ما استطعنا ان نطلق على كل ذلك اسم الديمقراطية ، فأننا ننظر لها على أنها قيمة سامية لتتحقق عن طريق التفكير العملي ، فالدولة اذا ما كانت ديمقراطية يستطيع حينها الجمهور توجيه وتنظيم الموظفين وإن كانوا في أعلى المستويات ،وإن كانوا مختارين من قبلهم (رايت ، 2010،ص522) (Wright, 2010, P522).

لذلك عدّ ديوي الديمقراطية ، أفضل وسيلة ابتكرها الناس لتحقيق الغايات والأهداف في الميدان الاوسع والاشمل للعلاقات الانسانية ،وأنها تقوم ايضاً بانضاج الشخصية الانسانية ، لأن ركيزة الديمقراطية عندهُ تكون في اشراك كل فرد ناضج في تكوين وابتداع القيم التي تنظم تعايش الأفراد معاً ،وهو أمر ضروري من وجهة نظر الصالح الاجتماعي العام والنمو الكامل للناس (وين، 1964، ص108) .(Winn,1964, P108)

إن مشكلة الحرية ، ماهي إلاّ التعبير عن الصراع القائم بين الفرد والجماعة ،فالحرية لاتعني للفرد سوى النمو ،والمبادرة الى التغيير كلما اقتضى الامر التغيير والتعديل (ديوي ، ب.ت.(ج)، ص333) (Dewey,N.D.(C),P333). وما هدف الديمقراطية الا تهيئة فرص لنمو قدرات جميع الافراد دون تمييز ، وهذا هو معنى الديمقراطية الأساسي عندهُ ، وليتميز النمو الذي يجب أن يكون أخلاقياً ، بان يسمح بنمو وتطور أكبر ، خلاف النمو السلبي الذي ينمو على أساسه الإنسان على الرذيلة ، أو أنهُ يكبر كما يكبر أي حيوان(مطر ، 1978، ص128) (Matar,1978, P128).

وعليه فأن ديوي يؤكد على أن مشكلة الحرية والمؤسسات الديمقراطية مرتبطة بمشكلة نوع الثقافة القائمة فعلاً ، فالديمقراطية حق اخلاقي ، كون القوانين التي تستند عليها ، قوانين اخلاقية لذا يجب أن تأخذ بها جميع الحكومات ، اذا ما سلمنا ان الحقوق الطبيعية هي الاساس الاخلاقي للحكومات الحرة(ديوي، ب.ت.(أ) ،ص4–16) (Dewey, N.D.(A), P4-16).

ويرجع أصل التلازم بين الحرية والديمقراطية عند ديوي ، الى فكرة أن الحرية في اطارها التأريخي ماهي إلاّ السعي الى القوة ، فهي إما انزال قوة عن عرشها ، أو محاولة امتلاك قوة لم تمتلك بعد ، وأن التسليم بأن الحرية هي قوة يأتي من كون أن القوة الحق ؛ هي الحكمة في توزيع مختلف القوى وتنسيقها، لأنهُ اين ما توجد الحرية ، يوجد قيد في مكان آخر في ذات الوقت ، فالحرية ليست مجرد فكرة وحسب ، أو هي مبدأ مجرد إنما هي قوة مؤثرة في خلق اعمال معينة ، لذلك فهي عند ديوي توزيع للقوى الاجتماعية (الاهواني ، 1959،ص61) (AL-Ahwani,1959, P61). وبمعنى آخر أن الطبيعة الإنسانية لاترتقي الا

اذا اشتركت عناصرها في توجيه الامور العامة التي يشترك فيها جميع الناس ، من خلال الديمقراطية (ديوي، ب.ت.(ج)، ص335) (Dewey,N.D.(C), P335) .

اذن فأن الديمقراطية ، تحاول جمع جميع عناصر المجتمع وقواه ،وتوزيعها بالشكل الامثل على اساس الحرية ، لترتقي بالطبيعة الانسانية لتحقيق التطور والتقدم للفرد والمجتمع على حد سواء.

اذ أن الوحدة الاجتماعية النهائية هي الجمهور ،واذا ما كانت الدولة ديمقراطية ، فأن الجمهور هو من يقوم بتنظيم وتوجيه موظفين ممثلين يختارهم ، بفطنة وذكاء ، لأن الجمهور هو من يتأثر بالخير والشر عن طريق المصالح المشتركة (رايت ، 2010،ص522) (Wright,2010, P522). فالديمقراطية تمتاز من الناحية النظرية بقيامها على أساس الاهتمام بالفرد واحترام آرائه وصون حقوقه ، فهي تعتبر الحكومة وسيلة يستعين بها الأفراد في تنظيم علاقاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية ، ويُمكن للشعب وفقاً للأسس البرلمانية (الديمقراطية) القيام بتغيير الحكومة متى يشاء (جعفر ،1954،ص82) (Jafar,1954, P82).

لذلك فأن تاريخ الامم يقوم على نظامها السياسي والذي يُمثل رصيدها التأريخي الذي عبر عنه ديوي بقوله : أن " التأريخ ليس إلا السياسة الماضية ؛ وأن السياسة هي التاريخ المعاصر " (ديوي، ب.ت.(أ)، ص18) (Dewey ,N.D.(A),P18).

الخاتمة والنتائج:

لابد لنا في الخاتمة من استعراض أهم النتائج التي توصلنا اليها في هذا البحث ، الذي عالجنا فيه موضوع الحرية عند الفيلسوف جون ديوي ،ومن جملة القضايا التي توصلنا لها هي :

1. أن رؤية ديوي الى الحرية ، تختلف عن رؤية اغلب الفلاسفة السابقين والمعاصرين له ، اذ أنهُ قد اسس مشروعهُ في الحرية وبمختلف جوانبه ، على الواقعية التي استمدها من فلسفته البرجماتية الاداتية.
2. أكد على ضرورة اشاعة الحرية الفردية والمجتمعية في أطار الدولة ، بعيداً عن اليوتوبيا ،وبين مدى أهمية الدولة التي عدّها واحدة من الاسباب التي حررت الفرد من القيود المفروضة عليه ، مثل العرق، ونظام الطبقات ،وساهمت أيضاً في اعادة تشكيل الذرات الاجتماعية لانتاج مختلف التنظيمات ، التي من واجبها رعاية مصالح الافراد ،وليكون واجب الدولة ايجاد التنظيم والتنسيق بين مختلف الجماعات ورسم حدودها للتقليل من شأن كل صراع يحدث فيما بينها ، فالدولة وسيلة يتحقق من خلالها تنظيم المجتمع لحماية مصالح الافراد.
3. جمع ديوي بين فكرتي الحرية الفردية والتنظيم الاجتماعي ، فكل منهما عنده يكمل الآخر ، لا كما ذهب اليه اغلب الفلاسفة بقولهم بالصراع او بالضغط الذي يمارسهُ التنظيم الاجتماعي على الحرية الفردية ، فقد توصل الى ان الحل يكمن في الجمع بين دائرة السلطة مع دائرة الحرية ، والخروج بوحدة جديدة أكثر ملائمة للواقع المعاصر.
4. بينّ مدى أهمية التربية في بناء شخصية الفرد ،وبالتالي بناء مجتمع فاضل ،وذلك بإعداد جيل يتمتع بالحرية من خلال تطبيق برنامجه في التربية ،وذلك بتحرير الطفل في المدرسة بإشاعة النشاط البدني وتغيير الأساليب القديمة في التعليم .
5. أكد ديوي على دور المعلم في التربية المعاصرة على ان يكون هادياً ومرشداً ، بدلاً من دوره القديم الذي كان يُمثل فيه السلطة العليا باستخدامه القسوة والعنف .
6. ربط بين المجتمع الديمقراطي والتربية وبناء الدولة في اطار الحرية ، إذ عدّ الديمقراطية أفضل وسيلة ابتكرها الإنسان لتحقيق الغايات والأهداف الانسانية ، فهي تقوم بتهيئة فرص لنمو قدرات جميع الافراد دون تمييز.

المصادر والمراجع

- أفروغ ، عماد (2014) ، نقد السلطة من منظور اخلاقي ، ط1 ، بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي.
- الأهواني ، أحمد فؤاد (1959) .جون ديوي / نوابغ الفكر الغربي(11). مصر : دار المعارف.
- بولر، بول (1978) . الحرية والقدر في الفكر الامريكي من إدواردز الى ديوي . مكتبة الانكلو المصرية . ترجمة : اسماعيل كشميري.
- الجاسور ، ناظم عبد الواحد (2008) . موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ، ط1 . بيروت : دار النهضة العربية.
- جعفر ، نوري(1954) . جون ديوي /حياته وفلسفتهُ . بغداد : مطبعة الزهراء .
- جيمس ،وليم (1965) . البراجماتية . القاهرة : دار النهضة العربية. ترجمة : محمد علي العريان.
- ديلو ، ستيفن .م (2008) . التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني ، ج1 ، ط1 ، القاهرة : مكتبة مدبولي . ترجمة : فريال حسن.
- ديورانت ، ول (1982) . قصة الفلسفة (من افلاطون الى جون ديوي)، ط4 . بيروت : مكتبة المعارف.
- ديوي ، جون (2010) . اعادة البناء في الفلسفة ، ط1 . القاهرة : المركز القومي للترجمة . ترجمة : احمد الانصاري.
- ـــــــــــ (ب.ت) (أ) . الحرية والثقافة . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية. ترجمة : أمين مرسي قنديل.
- ـــــــــــ (ب.ت) (ب) . الخبرة والتربية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية . ترجمة : محمد رفعت رمضان ،ونجيب اسكندر .
- ـــــــــــ (1946) . الديمقراطية والتربية . مطبعة لجنة التأليف والنشر . ترجمة : متي عقراوي ، وزكريا ميخائيل.
- ـــــــــــ (1963) . الطبيعة البشرية والسلوك الانساني . القاهرة : مؤسسة الخانجي . ترجمة : محمد لبيب النجيحي.
- ـــــــــــ (1979) . الفردية قديماً وحديثاً . بيروت : دار مكتبة الحياة . ترجمة : خيري حماد.
- ـــــــــــ (ب.ت) (ج) . تجديد في الفلسفة . مصر : مكتبة الانجلو المصرية . ترجمة : أمين مرسي قنديل . مراجعة : زكي نجيب محمود.
- ـــــــــــ (1962) . مدارس المستقبل . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ترجمة : عبد الفتاح المنياوي.
- رايت ،وليم كلي (2010) . تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط1 . بيروت : التنوير للطباعة والنشر والتوزيع . ترجمة : محمد سيد احمد . تقديم : أمام عبد الفتاح امام.

- روبرت ، جيفري ،واليستار ، ادوارد (1999) . المعجم الحديث للتحليل السياسي ، ط1. بيروت : الدار العربية للموسوعات . ترجمة : سمير عبد الرحيم الجلبي.
- صليبا ، جميل (1971) . المعجم الفلسفي ، ج1 . بيروت : دار الكتاب اللبناني.
- العروي ، عبد الله (2008) . مفهوم الحرية ، ط4 . المغرب : المركز الثقافي العربي.
- كوبلستون ، فردريك (2009) . تأريخ الفلسفة ، المجلد (8) ، ط1. القاهرة : المركز القومي للترجمة . ترجمة : محمود سيد أحمد . مراجعة وتقديم : أمام عبد الفتاح أمام.
- لالاند، اندريه (2001) . موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد (2) ، ط2 . بيروت : منشورات عيودات . ترجمة : خليل احمد خليل.
- محمد علي عبد المعطي ،ومحمد ، محمد علي (1976) . السياسة بين النظرية والتطبيق . الاسكندرية : دار الجامعات المصرية . تقديم : محمد علي ابو ريان.
- مسعود ، جبران (1992) . الرائد / معجم لغوي عصري ، ط7 . بيروت : دار العلم للملايين .
- مطر ، أميرة حلمي (1978) . في فلسفة السياسة . القاهرة : دار الثقافة .
- ناصر ، خالد (1998) . الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي ، ط4 . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية . سلسلة المستقبل العربي(4).
- هوروتز ، روبرت (2005) . جون ديوي. ضمن : تاريخ الفلسفة السياسية ، ج2 ، ط1. تحرير: ليوشتراوس وجوزيف كروبسي . القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة . ترجمة : محمود سيد أحمد.
- وين ، رالف .ب (1964) . قاموس جون ديوي للتربية / مختارات من مؤلفاته . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية . ترجمة وتقديم : محمد علي العريان . تصدير : عبد العزيز سلامة.

Bibliography

- Afrough , Emad (2014) . Critique of Authority from Moral Perspective , 1st ed. . Beirut : Center of Civilization for Development of Islamic Thought .

- Al-Ahwani , Ahmed Fuad (1959) . John Dewey – Western Thought Geniuses (11) . Egypt : Dar Al-Maref .

- Al-Jasoor , Nadhim Abdul-Wahid (2008) . Encyclopedia of Political, Philosophical and International Terms , 1st ed. . Beirut : Dar Al-Nahda Al-Arabia .

- Boller , Paul (1978) . Freedom and Fate in American Thought from Edwards to Dewey . Anglo-Egyptian Bookshop . Trans. by : Ismael Kashmiri .

- Copleston , Fredrick (2009) . A History of Philosophy vol.8 , 1st ed. Cairo : National Center for Translation . Trans. by : Mahmood Sayed Ahmed . Rev. by : Imam Abdul-Fattah Imam .

- Delue , Steven (2008) . Political Thinking , Political Theory and Civil Society, vol.1 , 1st ed. Cairo : Madbouly Bookstore . Trans. by : Firial Hassan .

- Dewey , John (1946) . Democracy and Education . Committee of Composition and Publishing Press . Trans. by : Matty Aqrawi and Zakeria Michael .

- _____ (1962) . Schools of Tomorrow . Cairo : Egyptian Renaissance Bookshop . Trans. by : Abdul-Fattah Al-Minyawi .

-_____ (1963) . Human Nature and Conduct . Cairo : Al-Khanegi Foundation . Trans. by : Mohammed Labeeb Al-Nujaihi .

-_____ (1979) . Individualism Old and New . Beirut : Al-Hayat Bookshop House . Trans. by : Khairi Hammad .

- _____ (2010) . Reconstruction in Philosophy , 1st ed. Cairo : National Center for Translation . Trans.

_ _____ (N. D) (A) . Freedom and Culture . Cairo : Anglo-Egyptian Bookshop . Trans. by : Ameen Mursi Qindeel .

- ــــــــــــــ (N. D) (B) . Experience and Education . Cairo : Anglo-Egyptian Bookshop . Trans. by : Mohammed Rifat Ramadan and Najeeb Alexander .

- ــــــــــــــ (N. D) (C) . Reconstruction in Philosophy . Egypt : Anglo-Egyptian Bookshop . Trans. by : Ameen Mursi Qindeel . Rev. Zeki Najeeb Mahmood .

- Durant , Will (1982) . The History of Philosophy from Plato to Dewey . 4th ed. Beirut : Dar Al-Maref .

- Hurwitz , Robert (2005) . John Dewey . in : History of Political Philosophy , edited by : Leo Strauss & Joseph Cropsey , vol.2 , 1st ed. . Cairo : Supreme Council of Culture . Trans. by : Mahmood Sayed Ahmed .

- Jafar , Noori (1954) . John Dewey His Life and Philosophy . Baghdad : Al-Zahra Press .

- James , William (1965) . Pragmatism . Cairo : Dar Al-Nahda Al-Arabia . Trans. by : Mohammed Ali Al-Erian .

- Lalande Andre (2001) . Technical and Critical Vocabulary of Philosophy , vol.2 , 2nd ed. Beirut : Oueidat Editions . Trans. by : Kalil Ahmed Khalil .

- Laroui , Abdullah (2008) . The Concept of Freedom , 4th ed. Morocco : Arabian Cultural Center .

- Masoud , Jibran (1992) . Al-Raed - A Contemporary Linguistic Dictionary , 7th ed. Beirut : Dar El-Ilm Lilmalayin .

- Matar , Amira Hilmi (1978) . In Philosophy of Politics . Cairo : Dar Al-Thaqafa .

- Mohammed , Ali Abdul-Muti & Mohammed , Mohammed Ali (1976) . Politics Between Theory and Application . Alexandria : Egyptian Universities House . Introd. by : Mohammed Ali Abu Rayan .

- Nassir , Khalid (1998) . Democracy and Human rights in Arab Homeland , 4th ed. Beirut : Centre for Arab Unity Studies / Arabic Future Books Series (4) .

- Robert , Geoffre & Edward , Alistair (1999) . A Modern Dictionary of Political Analysis . ,1st ed. Beirut : Arabian House for Encyclopedias . Trans. by: Sameer Abdul-Raheem Al-Chalabi .

- Saliba , Jameel (1971) . Philosophical Dictionary , vol.1 , 1st ed. Beirut : Dar Al-kitab Allubnani .

- Winn , Ralph B. (1964) . John Dewey's Dictionary of Education . Cairo : Anglo-Egyptian Bookshop . Trans. by : Mohammed Ali Al-Erian . Foreword by: Abdul-Aziz Salama .

- Wright , William Kelley (2010) . A History of Modern Philosophy , 1st ed. Beirut : Al-Tanweer for Printing , Publishing and Distribution . Trans. by : Mohammed Sayed Ahmed . Introd. by : Imam Abdul-Fattah Imam .